

تفريغ حلقات

محال سر من

في التعليق على

تفسير الحافظ بن كثير لأيات من القرآن الكريم

فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية "سابقاً"

قام بها

فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء



miraath.net

ميراث الأنبياء

www.miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم

حَجَّالْبَيْتِ رُضَيَّانِ

في التعليق على
تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ
لآيات من القرآن الكريم

عقدها

فضيلة الشيخ العلامة

أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَمْرٍو (الْحَمْدُ لِلَّهِ)

- حفظه الله ورعاه -

في بيته بمكة المكرمة خلال شهر رمضان المبارك لعام خمسة وثلاثين
وأربعمائة وألف للهجرة النبوية نسال الله - سبحانه وتعالى - أن ينفعنا وإياكم
وأن يجزي الشيخ خير الجزاء.

الجلس التاسع

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥﴾
ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ البقرة: ٥٥ - ٥٦

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى -: يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق، إذ سألتهم رؤيتي جهرة عيانا، مما لا يستطيع لكم ولا لأمثالكم، كما قال ابن جريج، قال ابن عباس في هذه الآية ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: علانية.

وكذا قال إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق، عن أبي الحويرث، عن ابن عباس، أنه قال في قول الله تعالى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي علانية، أي حتى نرى الله.

وقال قتادة، والربيع بن أنس: ﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي عيانا.

وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس: هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه. قال: فسمعوا كلاما، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: فسمعوا صوتا فصعقوا، يقول: ماتوا. وقال مروان بن الحكم، فيما خطب به على منبر مكة: الصاعقة: صيحة من السماء. وقال السدي في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ﴾ الصاعقة: نار.

وقال عروة بن رويم في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ قال: فصعق بعضهم وبعض ينظرون، ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء.

وقال السدي: ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّيْقَةُ﴾ فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله، ويقول: رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]

فأوحى الله إلى موسى أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل، ثم إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجلاً رجلاً، ينظر بعضهم إلى بعض: كيف يحيون؟ قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وقال الربيع بن أنس: كان موتهم عقوبة لهم، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم. وكذا قال قتادة.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسامري ما قال، وحرق العجل وذراه في اليم، اختار موسى منهم سبعين رجلاً خيراً فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله وتوبوا إلى الله مما صنعتهم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون - فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء الله، قالوا: يا موسى، اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا. وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو

يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل. فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم، فقالوا لموسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الرجفة، وهي الصاعقة، فماتوا جميعاً.

وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه، ويقول: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي﴾ الأعراف: ١٥٥
قد سفهوا، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟ أي: إن هذا لهم هلاك.

اخترت منهم سبعين رجلاً فالخير فالخير، أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد! فما الذي يصدقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا؟

﴿إِنَّا هَذَاكَ إِلَيْكَ﴾ الأعراف: ١٥٦ فلم يزل موسى يناشد ربه - عز وجل -، ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل، فقال: لا؛ إلا أن يقتلوا أنفسهم. هذا سياق محمد بن إسحاق.

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضاً كما أمرهم به، أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موسى، فاختر موسى قومه سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا. وساق البقية.

وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ والمراد السبعون المختارون منهم، ولم يحك كثير من المفسرين سواه، وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين: أنهم بعد إحيائهم قالوا: يا موسى، إنك لا تطلب من الله شيئاً

إلا أعطاك، فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعا بذلك فأجاب الله دعوته، وهذا غريب جدا، إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون ثم يوشع بن نون، وقد غلط أهل الكتاب أيضا في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله - عز وجل -، فإن موسى الكليم - عليه السلام - قد سأل ذلك فمنع منه فكيف يناله هؤلاء السبعون ؟

القول الثاني في الآية قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية : قال لهم موسى - لما رجع من عند ربه بالألواح، قد كتب فيها التوراة، فوجدهم يعبدون العجل، فأمرهم بقتل أنفسهم، ففعلوا، فتاب الله عليهم، فقال : إن هذه الألواح فيها كتاب الله، فيه أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه. فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جهرة، حتى يطلع الله علينا فيقول : هذا كتابي فخذوه، فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى !

وقرأ قول الله ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال : فجاءت غضبة من الله، فجاءتهم صاعقة بعد التوبة، فصعقتهم فماتوا أجمعون. قال : ثم أحياهم الله من بعد موتهم، وقرأ قول الله : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله. فقالوا : لا فقال : أي شيء أصابكم ؟ فقالوا : أصابنا أنا متنا ثم حيينا. قال : خذوا كتاب الله. قالوا : لا. فبعث الله ملائكة فنتقت الجبل فوقهم. وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعد ما أحيوا. وقد حكى الماوردي في ذلك قولين :

أحدهما : أنه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الأمر جهرة حتى صاروا مضطرين إلى التصديق.

والثاني: أنهم مكلفون لنألا يخلو عاقل من تكليف، قال القرطبي: وهذا هو الصحيح؛ لأن معاينتهم للأمر الفضيعة لا تمنع تكليفهم؛ لأن بني إسرائيل قد شاهدوا أمورا عظاما من خوارق العادات، وهم في ذلك مكلفون وهذا واضح، والله أعلم.

تعليق الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾ البقرة: ٥٥ - ٥٦

ساق الحافظ ابن كثير أقوالاً كثيرة وكُلُّها إسرائيليّات ليست من قول الرسول وليس لها أسانيد، والمعنى الصحيح أنهم طلبوا من الله - تبارك وتعالى - الذهاب بالسبعين إلى ربه - عزَّ وجلَّ -، بعد أن عبدوا العجل وبعد أن قتل بعضهم بعضاً ذهب بهؤلاء السبعين إلى الله - تبارك وتعالى - ليستكملوا التوبة، فأخذهم الله - تبارك وتعالى - بعملٍ عملوه فصعقوا فدعا الله موسى لهم فأحياهم الله - تبارك وتعالى -، أحياهم الله - عزَّ وجلَّ - قاموا وقالوا: يا موسى ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ يعني في بعض الإسرائيليات أنهم قالوا: دعنا معك نسمع كلام الله - عزَّ وجلَّ - فضرب الله عليهم الغمام على الجبل فدخلوا فيه ثم كلم الله موسى وهم يسمعون، هذا أيضاً من

الإسرائيليات فلما سمعوا هذا الكلام قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وهذا من تعنتهم الكثير، وتمردهم على موسى - عليه الصلاة والسلام - فكم لهم من التعنتات!

يرون هذه الآيات العظيمة الباهرة - بارك الله فيك - ومع ذلك لا يزاولون يتعنتون ويتنطعون ويطلبون من موسى أشياء لا يمكن تحقيقها لهم، يطلبون من الله أن يروه جهرة وقد طلب موسى من ربه - عز وجل - : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ الأعراف: ١٤٣

وإذا كان موسى لم يتمكن من رؤية الله ولم يره الله نفسه - تبارك وتعالى - كيف يطلبون هذا بعدما علموا أن الله - سبحانه وتعالى - لم يستجب لموسى فيما طلبه من رؤيته ربه - تبارك وتعالى - وأنه صُعب لما قال ربه: ﴿لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ الأعراف: ١٤٣

وإذا كان الجبل يندك كما يُقال من نملة من نور الله - تبارك وتعالى - أو على مثل أصبع اندك الجبل، كيف يُطبق الإنسان في هذه الحياة الدنيا أن يرى الله - تبارك وتعالى - فالله لا يُرى في هذه الحياة الدنيا لم يره لا موسى ولا محمد ولا أحد.

بعض الناس يدّعي أنّ محمداً رأى ربه ليلة الإسراء وهذا لم يصح، أحاديث الإسراء الصحيحة واضحة جداً في أنّ الله ما رآه، ربه كلّهم وفرض عليه الصلوات وكان يتردد بين موسى وبين ربه كانت خمسين حتى صارت خمس صلوات وفي الأجر خمسين، الشاهد أنّ الناس لا يستطيعون رؤية الله في هذه الحياة الدنيا.

إنّ الله - سبحانه وتعالى - ما ركّب فيهم القوة التي تؤهلهم لرؤية الله في هذه الحياة الدنيا، لكن في الآخرة الله - سبحانه وتعالى - يُركّب فيهم قوة يستطيعون بها النظر إلى وجه الله الكريم كما قال - تبارك وتعالى -: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢ - ٢٣)

وجاء في الحديث الصحيح أنّ المؤمنين يرون ربهم - سبحانه وتعالى -، فالرؤية في الآخرة ثابتة لا يُنكرها إلا الخوارج وأهل الضلال وأما في الدنيا فلم تحصل لأحد أبداً لا لموسى ولا لرسول الله فضلاً عن بني إسرائيل.

بارك الله فيكم، فقهنا الله وإياكم في الدين، وجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



ميراث اللہ دیا

وجزاكم الله خيرا.

